التّصنيفُ والجماعاتُ

القراءةُ 6 نصٌّ معلوماتيٌّ

نواتجُ التّعلّمِ

1. ARB.3.1.02.030 يحلّلُ المتعلمُ الفلسفةَ الّتي يتّكئُ عليها الكاتبُ، والمسلّماتِ الّتي ينطلقُ منها في عرضِ أفكارِه في النّصِّ.
2. ARB.3.3.01.032 يشاركُ المتعلّمُ زملاءَه في عرضِ تقاريرَ حولَ موضوعاتٍ علميةٍ قرؤوا عنها، ناشرينَ نتاجاتِهمْ في وسائلِ التّواصلِ الاجتماعيِّ .
3. ARB.3.1.02 أن يقرأ النص المعلوماتي بعمق وشموليّة ، ويحدد الفكرة المركزيّة والفكر الرئيسة ، ويستنتج العلاقات ضمن النص الواحد وبين النصوص المختلفة.
4. ARB.6.1.03.015 يفسر المصطلحات العلميّة وفق فروع كل مجال في النصوص المعلوماتيّة.

الاستعدادُ لقراءةِ النَّصّ:

إستراتيجيّاتُ القراءَةِ:

قوّةُ السّؤالِ:

حينَ نقرأُ نصًّا معلوماتيًّا فإنّنا نحتاجُ في العادةِ إلى استخدامِ إستراتيجيّاتٍ تعينُنا على فهمِ المعلوماتِ والحقائقِ المتضمّنةِ في النّصِّ، وعلى حصرِ الأدلّةِ، وتقييمِها، وعلى تعميقِ الفهمِ، وتوسيعِ المعرفةِ.

إستراتيجيّةُ "قوّةِ السّؤالِ" مِنْ أكثرِ الإستراتيجيّاتِ الّتي تساعدُ القارئَ على التّركيزِ، والسّيطرةِ على النّصِّ، وتوجُّهِ تفكيرِهِ نحوَ البحثِ عنِ الإجاباتِ الأساسيّةِ، الّتي تؤطِّرُ المعلوماتِ ضمنَ محاورَ منظّمةٍ مترابطةٍ، وتسمحُ للقارئِ بالتّفكيرِ والتّروّي، والعودةِ إلى النّصِّ مرّةً بعدَ أخرى للبحثِ عَنْ إجاباتٍ تساعدُهُ على تكوينِ صورةٍ واضحةٍ عَنْ أفكارِ النّصِّ وأدلّتِهِ وحججِهِ، وتجعلُهُ مدركًا لغرضِ الكاتبِ، وتوجّهِهِ، وإنْ كانَ متحيّزًا في فكرِهِ أَمْ أنّهُ يَتحرّى الموضوعيّةَ في طرحِهِ.

تطبيقُ هذهِ الإستراتيجيّةِ يتطلّبُ مِنْكَ أنْ تقرأَ النّصَّ، وتحاولَ أنْ تبحثَ عَنْ إجاباتٍ عَنْ هذهِ الأسئلةِ:

1. ما الفكرةُ المركزيّةُ في النّصِّ؟ ما الّذي يريدُ الكاتبُ أنْ يقنعَني بهِ؟
2. كَمْ دليلًا استخدمَ الكاتبُ لإثباتِ وجهةِ نظرِهِ؟ ما نوعُها؟ ما تقييمي لها؟
3. هَلْ أقنعَني؟ لماذا؟

طبّقْ هذهِ الإستراتيجيّةَ وأنتَ تقرأُ نصَّ "التّصنيفُ والجماعاتُ"، ومنَ المهمِّ جدًّا ألّا تأتيَ إلى الحصّةِ إلّا وأنتَ قدْ كتبْتَ إجاباتِكَ عَنْ هذهِ الأسئلةِ، وربّما يكونُ منَ الأفضلِ أنْ تكتبَ كُلَّ سؤالٍ على بطاقةٍ، وتضعُ تحتَه إجابتَكَ المختصرةَ المنظَّمةَ.

المُفرداتُ والمُعجَمُ:

تطويرُ المفرداتِ:

سَجّلِ المعانيَ المعجميّةَ المختلفةَ لكلمةِ "تصنيفٍ" كم

.....

.....

صَنَّفَ الْمَوَادَّ : جَعَلَهَا أَصْنَافاً وَرَتَّبَهَا وَمَيَّزَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ حَسَبَ عَلاقَاتِهَا
صَنَّفَ كِتَاباً : أَلَّفَهُ
صَنَّفَ النَّبَاتُ : صَارَ أَصْنَافاً
صَنَّفَ النَّبَاتُ : بدا ورقُهُ وتنوَّعَ ، أو أخرج ورقَهُ
صَنَّفَ الثَّمَرُ : أدْرَكَ بعضُه دونَ بعْضٍ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تَطبيقٌ على المُعجَمِ والمُفرداتِ:

استخدمْ كلمةَ "التّعصّبِ" في عبارةٍ توضّحْ معناها.

وقف إلى جانب صاحبه مناصراً له بشدة، نصره متعصباً دون أن يعرف طبيعة المشكلة

في أثناءِ قراءةِ النّصّ:

طَبّقْ إستراتيجيّةَ "قوّة السّؤال" وأنتَ تقرأُ النّصَّ. ضَعِ الأسئلةَ الثّلاثةَ أمامَكَ، كُلُّ سؤالٍ على ورقةٍ أَوْ بطاقةٍ، وَسجّلْ مُلاحظاتِكَ عَليها، وأنتَ تقرأُ النّصَّ. يُمكنُكَ أَنْ تعودَ لإجاباتِكَ مرّةً أُخرى لتنظيمِها، وإعادةِ صياغَتِها.

التصنيف والجماعات

(د. محمد قاسم خضير) *

لهذا الجزء من الكتاب أهمية كبيرة في نظري، وأهميته تعود لكونه سيجعلك تعيد النظر في فهمك لانتمائك لجماعة معينة، وسيضيء جانبًا من جوانب تعاملك مع الجماعات الأخرى، أعتقد أنك ستفيد مباشرة من هذه المعلومات وستغير نظرتك للواقع الذي تتعايش معه، مع أنني سأطلب إليك التركيزفي أثناء القراءة، إلا أنني أعتقد أن المعلومات المطروحة ستكون لها جاذبية خاصة تحتم عليك الانتباه. سأتطرق لقدرة الإنسان على التصنيف، وأيضًا لتصنيف نفسه لجماعة معينة، سأدمج بين علم النفس و بين العلم الحديث فيما يرتبط بالتصنيف.

الحاجة للتصنيف

لو اتجهت إلى المكتبة لتشتري كتبًا لأطفالك الصغار، لوجدت كثيرًا من الكتب التي تعلم الطفل تصنيف المعلومات إلى أصناف محددة، فعلى سبيل المثال ستجد كتبًا تعلم الطفل الألوان، فهذا اللون الأحمر، وذلك الأخضر، وذاك أزرق، وما إلى ذلك من الألوان، أو ستجد كتبًا تعلم الطفل الأشكال، مثل المثلث، والمربع، والدائرة، وغيرها، أو الحيوانات بأنواعها، أو أنواع الأطعمة، أو الأعداد، وهكذا، ومع تقدم العمر، يتعلم الطفل

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هذه الأمور وأمورًا أخرى كثيرة جدًّا، ليصنفها على حسب تصنيفاتها المنطقية.

لـو توجهت إلى محل الخضـراوات لوجدت أصنافًا مـن التفاح: منها الأخضر ومنها الأصفـر ومنها الأحمر، ولوجدت أنك تصنفهـا كلها أنها تفاح باختلاف ألوانها وأحجامها، و إذا ما رأيت أنواعًا مختلفة من الحيوانات الأليفة، لاسـتطعت تصنيفها كلها التصنيف الصحيح، فالكلاب و إن اختلفت عن بعضها في أطوالها وأشكالها وألوانها لن تختلط عليك فتصنفها مع القطط، ولا القطط مع الطيور ولا الطيور مع الحشـرات، وهذه الخاصية – خاصية التصنيف – هي خاصية إدراكية لها علاقة وثيقة بتركيبة مخ الإنسان.

يا ترى ما أهمية التصنيف؟ يقول البروفيسـور بول بلوم (Paul Bloom) في جامعة ييل (Yale University) إن التصنيـف يلعب دورًا كبيرًا في تمييزك بين الأمور التـي تعرضك للخطورة والتي تحتاج أن تحتمي منها، و بين الأمور الآمنة التي لا تحتاج أن تحتمي منها، فمثلًا حينما ترى حيوانًا ما قد تقول لنفسـك: "هذا أسد، سأهرب منه،" أو «هذه قطة، سـأقترب لأمسح على شـعرها،" ومن الممكن أن ترى نباتًا ما، وتفكر: «هذه النبتة سامة سأتفادى أكلها،» أو "هذه غير سامة بإمكاني أكلها.»

وبقدرتك على تصنيف البشـر، فأنت تصنف الذكر والأنثى كلًّا منهم في صنفه، وتصنف الأطفال والكبار في السـن كلًّا منهما في فئته العمرية، وتصنف الوجوه لتعرف الحالة النفسـية التي يكـون فيها الناس، "هل هذا الشـخص فرح أو متضايق أو منزعج أو غاضب؟» وهكذا، "هل هذا الشخص مصري أو كويتي أو عراقي أو سـعودي؟» أو "هل هذا الشخص غربي أم شـرقي؟» كل هذه التصنيفات تحدد طريقة تفاعلك مع الآخرين، وبها سـتتعامل مع الغاضب بطريقة تختلف عما كنت ستتعامل بها مع الفرح؟ وستتعامل مع الصغير في السن باختلاف عن تعاملك مع الكبير؟ وقد تتعاطف مع شـخص من بلد أكثر مما تتعاطف مع شـخص من بلد آخر لأنك تُصنف على أنكما تشتركان في سمة واحدة.

تجربة كهف اللصوص

نحن نتعامل مع كثير من الأمور في حياتنا على أساس التصنيف، وقد يكون من أهم تلك التصنيفات التي تحدد طريقـة تعاملك مع الآخرين هو تصنيفك وانتماؤك للجماعة، أنت تنتمـي لكثير من الجماعات، فأنت امرأة شـابة لبنانية متزوجة وموظفة في الجامعة الأمريكية، أنت تنتمين لكل هذه المجموعات، وتتأثرين وتعملين مـن خلالها بدرجات مختلفة، وتتعاملين ربما بحدية أكثر مع الجماعات الأخرى أو بدرجة أقل من التعاطف، ربمـا أنتِ ولدت في بعضها، فليس لك أي خيار فيها، ولكـن انتميت لجماعات لاحقا حينما كان الخيار بيدك. تتشـكل بعض التصنيفات على أسـس منطقية سـليمة، وأحيانًا تتشكل بلا منطق سـليم. هذه كلها تؤثر على أخلاقك مع جماعتك والجماعات الأخرى.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الدكتور مظفر شـــريف (Muzafer Sherif) من مؤسســـي علم الاجتماع، ومن كبار متخصصيها، أجرى عدة تجـــارب لمعرفة الكيفية التي يتعامل بها الناس مع بعضهم بعضًا، وذلك بناء على انتماءاتهم الاجتماعية، أراد أن يعرف أصول التعصب، فمن أشـــهر التجارب التي أجراها تســـمى تجربة "كهف اللصوص" (Robbers Cave Experiment)، تعود تســـمية هذه التجربة إلى المكان الذي أقام فيه شـــريف هذه التجربة، حيث كانت في منتزه "كهف اللصوص" في أوكلاهوما في الولايات المتحدة الأمريكية.

اختار لهذه التجربة 24 طفلًا، أعمارهم حوالي سن الثانية عشرة، وكانوا متقاربين من حيث الحالة الاجتماعية، قسمهم إلى قسمين متساويين، نقل كل مجموعة مكونة من 12 طفلًا في حافلة مختلفة، ثم أرسلهم إلى المتنزه، ولم يكن يعلم أي من الفريقين شيئًا عن الفريق الآخر، أي إنهم لم تتعرف كل مجموعة على الأخرى قبل نقلهم، وحتى عند تكوين المجموعتين.

كوّن معاونو مظفر معســـكرَيْن أو مخيمًا لكل فريق، ولم يعلم أي من الفريقين عن مخيم الفريق الآخر شيئًا، حيث كان كل مخيم بعيدًا عن الآخر، فبدأ كل فرد من أفراد الفريق بتكوين روابط مع الآخر من فريقه، عزز شريف - الذي مثل دور البواب في هذه التجربة – الروابط التي تكونت، فبدأت كل مجموعة بنصب خيمهم، وتخصيص أماكن للسباحة، وطهي الطعام، وإقامة مختلف النشاطات الاجتماعية.

أســـمت كل مجموعة نفسها باسم أوتوماتيكيًا، أي من عند نفسها ومن غير تدخل، فكانت واحدة تسمي نفسها بالنســـور (Eagles)، والأخرى بالجرسيّين (Rattlers) نســـبة إلى الحية الجرسية (Rattlesnake)، وأسست كل مجموعة قوانين أو قواعد خاصة تعمل بها.

بعـــد أن تقوّت الروابط بين أفراد المجموعـــة - وبعد أيام - انتقلت التجربة للمرحلة الثانية بتدرج ومن غير أن يشـــعر الفريقان، أحست كل مجموعة بوجود المجموعة الأخرى، حيث ترك العاملون الأطباق والأكواب في مكانها داخل المطعم لكي يراها كل فريق، فيعلم كل منهم بوجود الآخر. وبدأت كل مجموعة بسماع أصوات صادرة من المجموعة الأخرى، وبمجرد إحساس كل منهم بوجود الآخر بدأ الحس بـ "نحن" و"أنتم"، فرسمت كل مجموعة حدودا لها، "فهذا مكاننا وذاك مكانكم"، «أرجو أن لا يقتربوا من أماكن سباحتنا."

وفي هذه المرحلة عُزز الانتماء للجماعة عن طريق المسابقات التي طلبت المجموعات ذاتها القيام بها، أضف لذلـــك أن كل فريق بدأ بتكوين تصور عن طبيعته، فمثلًا كان فريق النســـور يؤكد على أنه فريق محترم غير سباب، وأنه فريق منظم، بينما كانوا يعتقدون أن فريق الجرسيين قبيحون وسبابون، أما فريق الجرسيين فكان يدعي أن فريق النسور فريق ضعيف، وذو طيبة زائدة عن الحد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أقيمت المسابقات، وقد تلاعب العاملون على التجربة في نتائج المسابقات حتى تكون متقاربة، وذلك لكي يضمنوا أن يصبح التنافس على أشده، وجعلوا الفريقين يتناولون الطعام في القاعة نفسها وفي الوقت نفسه، وأروهم الجوائز في أثناء التقائهم حتى يعرف الفريقان علام يتباريان، فبدأ الفريقان بالتنابز بالألقاب والغناء بأغاني تحط من قيمة الفريق الآخر.

لعبوا لعبة البيسبول (Baseball) وفي أول لقاء لهم بدأ الفريقان بالتسابب، وبعد أن خسر فريق النسور أخذوا علم الجرسيين وأحرقوه، وفي اليوم التالي أحرق فريق الجرسيين علم النسور، ثم لعب الفريقان ألعابًا أخرى كلعبة جر الحبل، فربح النسور تلك الجولة، وازدادت الكراهية بين الفريقين، فكان حينما يمر أفراد أحد الفرق بجانب أفراد الفريق الآخر يعبّر بعضهم عن اشمئزازه من الآخر بإغلاق الأنف على سبيل المثال (تعبيرًا عن الرائحة النتنة للفريق الآخر).

بعد ذلك انتقل كل فريق لغزو مخيم الفريق الآخر، وحتى يحمي فريق النسور مواقعه بدأ بجمع الصخور لإلقائها على عدوهم، ازدادت الغارات بين الفريقين، وحدثت السرقات، والتعدي على الممتلكات، وتطورت الأمور إلى أقصى حد الكراهية بين الفريقين، فتدخل العاملون لفض النزاع حتى لا تتطور الأمور أكثر من ذلك.

دخلت التجربة في مرحلتها الأخيرة بعد أن تكونت كراهية شديدة بين الفريقين، أراد شريف أن يحل الأزمة وأن يؤلف و ينشر السلام بينهما، فعمل العاملون على مرحلة التعارف، فكان أحد النشاطات التي قرروها الاشتراك أو التعاون في جمع الحبوب، وكذلك قرروا لهم مشاهدة الأفلام مع بعض، وأيضًا اللعب بالألعاب النارية، لكن لم تأت أي من النشاطات بنتيجة إيجابية، حتى إن نشاط الألعاب النارية كاد أن ينهي التجربة، لمحاولة كل فريق الإضرار بالآخر، وكلما اجتمع الفريقان في صالة الطعام كان يلقي كل منهما الطعام على الآخر.

بعد ذلك أقيمت مسابقات على المستوى الفردي بين الفريقين، فلو لم يكن الحل في اجتماع الفريقين جميعًا، فربما لكان الحل في اجتماع أفرادهما كل على حدة، ومع ذلك فإن الفائزين كانوا حينما يعودون لفريقهم كانوا ينسبون الفوز للفريق وليس للفرد. وفي تجربة إصلاحية أخرى أرسل العاملون فردين من كل فريق للتفاوض على السلام، ولكن بعد رجوع كل من المتفاوضين لمخيماتهم، اتهمهم أفراد الفريق بالخيانة، لم يتحقق السلام ولا التآلف.

جاء القائمون على التجربة برجل دين لوعظ الفريقين ولحثهم على التعامل مع جيرانهم بالحسنى، وبما أن الأطفال كانوا كلهم مؤمنين ظن العاملون أن الفرقتين ستستفيدان من رجل الدين وستتآلفان، ولكن حتى في هذه الحالة لم يتقارب الفريقان، حيث تشكل في أذهان الأطفال صوت داخليّ يدعوهم لحسن الجوار مع من

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ينتمون إليهم: "صحيح، لابد أن نعامل الجار باحترام وطيبة، وبما أنني من النسور فلابد أن أعامل جاري النسر بطيبة واحترام، أما أولئك الجرسيون فهم أناس لا يستحقون المعاملة الطيبة."

فتوصل العاملون إلى أن هذه الطرائق لن تجدي نفعًا، فاتفقوا على أن يقوموا بتجربة تكون فيها هناك أهداف مشتركة أو عدو مشترك، فافتعلوا مشكلة شرب الماء، حيث أوقفوه عن المخيمين بالكامل، فتخوف الفريقان من مواجهة العطش، وبعد لعبهم أحسوا جميعًا بالعطش، وازداد مع مرور الوقت ومع كل نشاط، فاتّهم العاملون مخربين خارجيين بقطع الماء عن المخيمين، وأخبروهما أن السبب في قطع الماء هو الأنبوب الذي يوصل الماء إلى المخيم، فقد تم حشوه بكيس.

اجتمع الفريقان عند أنبوب الماء في محاولة لإزالة الحشوة، وبدأ الأفراد بالحوار حول كيفية حل المشكلة، وتعاونوا على الحل، وبعد مرور 45 دقيقة وجدوا حلا للمشكلة، وكانت الأجواء مليئة بالحماس المشترك، ولم يعترض الجرسيون على أن يبدأ النسور بشرب الماء قبلهم، وتوقف التنابز بالألقاب، وتعاملوا مع بعضهم بالحسنى.

بعدها نظم العاملون مشاهدة فلم مفضل يرغب الفريقان بمشاهدته، فاختار العاملون فلمين بناء على آراء متخصصين في الأفلام، فأتوا بالفريقين، وفتحوا باب التصويت على الأفلام، فاختاروا بأغلبية وحماس أحد الأفلام، فطلب العاملون دفع قيمة تذكرة لمشاهدة الفلم، وبعد نقاش اتفق الفريقان على المساهمة بمبلغين متساويين.

بعدها تناول الفريقان الطعام مع بعضهما ولم يعترضا على ذلك، انخفضت الكراهية فيما بينهما، ثم أُشرك الفريقان في مسابقة شد الحبل، وخلط أفراد الفريقين مع بعضهم كل على جهة، فأصبح الهدف مشتركًا بين أفراد الفريق المهجن، فقلل ذلك من حدة الصراع بينهما.

في نهاية التجربة أتى الموعد للرجوع إلى المدينة، قرر الفريقان الرجوع في حافلة واحدة، هتف الفريقان بحماس لهذا القرار، وفي الطريق توقفت الحافلة عند الدكان، فاشترى الجرسيون بأرباحهم من المسابقات الطعام، وشاركوا فيه النسور.

إذن، إيجاد الأهداف المشتركة هو أحد الحلول للمشكلات بين الفرق المتخاصمة، يقول "البرفيسور بلوم" مازحًا، إنه لو أردنا أن نوحد العالم كله بكل أطيافه ودياناته، لاحتجنا لأعداء غزاة من الفضاء الخارجي. قد لا نحتاج لذلك بقدر احتياجنا لأهداف مشتركة يشارك فيها الجميع.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التعصب للجماعة

قــد تتخيل أن المجموعة التي تنتمي لها وتناصرهــا وتدافع عنها إنما تدافع عنها وتتأثر بها من باب المبادئ، وقد تعتقــد أن مبادئك صحيحة، وأن مبادئ الآخرين خطأ، فأنت الصحيح و هــو الخطأ، أنت وجماعتك تقومون على مبادئ حقة، أما الآخرون فيعيشــون على مبادئ خطأ، ولذلك أنت تدافــع عن مجموعتك أو فريقك بناء على الحق.

دفاعك عن مجموعتك لا يعود لأسباب منطقية، ولا يعود لكونك أنت على صواب والآخرين على خطأ، بل يعود لكونك تنتمي لجماعة ما لا أكثر، التجارب تبين أنه حتى لو كنت تنتمي لجماعة مكونة تكوينًا عشوائيًّا لكنت متعصبًا لها بالطريقة نفسها. فاعتزازك بوجود مبادئ في جماعتك ليس السبب في دفاعك عنها.

الدكتور البولندي البريطاني "هنري تاجفيل" (Henri Tajfel) - في دراسته للتعصب - كان يعتقد أن التصنيف الذي يعتمد على العملية الإدراكية يؤثر كثيرًا على التعصب، فبدأ بإقامة تجارب تســمى بـ «تجارب المجموعة الدنيوية» (Minimal Group Experiments)، وهي المجموعات التي تتشكل على أدنى المبادئ، كان الهدف من هذا النوع من هذه التجارب معرفة أدنى الحالات المطلوبة ليتكون فيها التعصب بين المجموعات.

قســم "تاجفيل" الناس إلى مجموعتين عشــوائيًّا بناء على قواعد بســيطة وعلى أســس غير مهمة، ففي إحدى التجارب عرض لوحات فنية لرســامين مختلفين، واعتمادًا على تعليقات الذيــن رأوا الصور، صنّفهم على أنهم من محبي "الكلي" نســبة إلى الرســام "بول كلي" (Klee Paul) أو من محبي "كاندنســكي" نسبة إلى الرسام "وازلي كاندنسكي" (Wassily Kandinsky)، في الحقيقة أن تصنيف "تاجفيل" لشخص في كل مجموعة كان عشــوائيًّا، أي أنه لم يعتمد على تعليقات الأشخاص للرسومات ولا لأذواقهم في الواقع. أراد فقط أن يشعر كل فريق بوهم الانتماء لجماعة بناء على مبدأ.

حينما أجرى مقابلة مع جماعة الكلي، اكتشــف أنهم يعتقدون أنهم أذكى من جماعة "كاندنســكي"، وأنهم على استعداد لتقديم تبرعات مالية إلى جماعتهم أكثر من الجماعة الأخرى. ذلك كان مثالًا على تأثير الانتماء للجماعة عشوائيا ليعتقد أفرادها أنهم أفضل من الآخرين في الجماعة الأخرى.

ويقول الدكتور "بــول بلوم" في محاضرته عن الأخلاق إن في بعض التجارب كانت تُقسّــم المجموعتان بناء على وجه العملة بعد تقليبها في الهواء، ليتضح أنه حتى بهذا التصنيف العشــوائي والذي علم أفراده بعشــوائية اختيارهم فيها (خلافًا لتجربة تاجفيل السابقة) فإن كل مجموعة تتصرف كما لو أن هناك خصوصية للمجموعة التي ينتمي إليها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أقام "تاجفيل" تجارب أخرى ليفهم تأثير تصنيف الأشـياء على آراء الأشخاص، ففي إحدى التجارب يُقدّر فيها الأشـخاص أطوال خطوط معينة، اكتشـف "تاجفيل" أن تصنيف الخطوط يؤثر مباشرة على تقدير الشخص لطولها. تخيل لو رُسـمت مجموعتان من الخطوط المختلفة الطول، وذكرت لـك أن المجموعة الأولى هي (أ)، والثانيـة هي (ب). ولنفترض أن أطوال الخطوط في (أ) بين 5 سـم و8 سـم، وكانت أطـوال الخطوط في (ب) بين 7 سـم و9 سـم. فمن المنطق أن تقول إن المجموعتين تشتركان في خطوطهما، حيث إن (أ) و(ب) يحتويان على خطوط أطوالها 7 سـم و8 سم، ولكن تبين من الدراسة أننا سـنعتقد أن المجموعة (أ) متجانسة مع بعضها والمجموعة (ب) متجانسة مع بعضها، وأنهما مختلفتان.

لقد لاحظ "تاجفيل" - بعد عدة تجارب من هذا النوع - أن التصنيف يجعلك منحازًا للصنف، وبسبب التصنيفات ستجد أن الناس مثلًا تجعل هناك تقاربًا كبيرًا ما بين أبناء البلد الواحد، وفروقات ما بين أبناء البلدين، لن نعتقد أن أبناء الفرقتين متجانسـون مع بعضهم البعض، وهكذا نحن نعتقـد بتجانس مكونات كل صنف، واختلاف الأصناف عن بعضها. تتفاقم المشـكلة حينما يقوم الناس بتكثيف أو تشـديد الصفات المتجانسة وتكثيف أو تشديد الفروقات، و إن لم تكن هذه التجانسات والفروقات صحيحة.

هذه الطريقة في التعامل مع التصنيفات إنما هي جزء أساسـي مـن تركيبتنا الإدراكية، وهي لا تختص بطبيعة شـخصية معينة، إنما هي من طبيعة التفكير الاعتيادي، وقد نشـر "تاجفيل" ورقة علمية في سنة 1969 بعنوان «الجوانب الإدراكية للتعصب» (Cognitive Aspects of Prejudice) تؤكد هذا الأمر.

الهوية الاجتماعية

أنشأ الدكتور "جون ترنر" (John Turner) نظرية هو والدكتور "تاجفيل" أسموها بنظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity)، اعتمـدت على التجارب السـابقة التي أجراها "تاجفيل"، هـي وتجارب أخرى، النظرية تتلخص في أن الشـخص عادة ما يقوم بتصنيف الأشياء والبشر، ثم يُكوِّن له هوية اعتمادًا على وجوده في ذلك التصنيف، فحينما ينتمي لفريق كرة قدم أو أسـرة أو مذهب أو قبيلة أو بلد أو ما شـابه، فذلك سـيعطيه الثقة بالنفس والعزة، أو بعبارة أخرى هوية اجتماعية، وحتى يرفع من مسـتوى هـذه الثقة والعزة يقوم بتكثيف أو تحسـين مكانة المجموعة التي ينتمي لها، وفي المقابل ينال من المجموعـات الأخرى عن طريق البحث عن سلبياتها والتنزيل من شأنها، فبذلك ينقسم العالم إلى هم ونحن، و ينشأ التعصب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التأثر بالجماعة

قد تقول الآن: "أنا أتعصب لجماعتي، ولكن أنا لا أتأثر بهم، لأني مؤمن بمبادئ صحيحة، جماعتي لا تؤثر على رأيي وعلمي بالحق،" لنرى كيف تتأثر بالجماعة وأن المبادئ التي تحملها تنكسر في ظل وجودك فيها.

تجربة قام بها "سولومن آش" (Solomon Asch) تسمى بتجربة "آش" للامتثال أو الانسجام (Asch Conformity Experiments) بينت أن الفرد يتأثر بضغط الجماعة، ويتماشى معها حتى و إن كانت جماعته على خطأ، وحتى لو كان يعتقد خلاف ما تعتقده.

أتى بمجموعة من الطلاب، وأخبرهم أنهم سيقارنون خطًّا واحدًا بطول معين مع ثلاثة خطوط أخرى مختلفة الأطوال، أحد هذه الخطوط الثلاثة يتساوى مع الخط الأول تمامًا، وعلى المشارك أن يحدد أيًّا من الخطوط الثلاثة يتساوى مع الأول.

كعادة اختبارات علم النفس أو علم الاجتماع فإن كثيرًا منها يقام في ظل وجود ممثلين، أي أن جميع المشاركين هم ممثلون وشخص واحد هو الذي ستقام عليه التجربة، ولكن لا علم لذلك الشخص أن الآخرين ممثلون، فهو يعتقد أنهم جميعًا خاضعون للتجربة مثله.

أُجلس الجميع في صف واحد بحيث يكون دور الخاضع للاختبار في النهاية (سنطلق عليه اصطلاح «خاضع»)، ووضُعت ورقة وعليها الخطوط أمام الجميع، ليرها الكل في نفس الوقت، ثم يُطلب إلى أول شخص أن يذكر أي من الخطوط يتساوى في الطول مع الخط الأول، و ينتقل السؤال للشخص الثاني والثالث وهكذا، إلى أن يصل الدور إلى "الخاضع".

في أول تجربة، قدم الممثلون الإجابة الصحيحة، أي أنهم اختاروا الخط الذي يتساوى تمامًا مع الخط الأول، فانسجم معهم "الخاضع"، وفي التجربة الثانية، حيث قدم المُختبِر ورقة تحتوي على خطوط أخرى، أيضًا اتفق الجميع، ولكن بعد تلك التجربة والتجارب التي تليها بدأ الممثلون بإعطاء إجابات خطأ، حيث إنهم اتفقوا على اختيار خط لا يتساوى مع الأول (ولو أنك رأيت تلك الخطوط للاحظت أنه من الواضح أن جميع الممثلين مخطئون، المطلوب خطان متساويان، ولكن المشاركين انتقوا خطين مختلفين على أنهما متساويان)، بالرغم من شك الخاضع في صحة إجاباتهم، إلا أنه قرر أن يتماشى مع الجميع مع أن إجاباتهم كانت خطأ.

ومن هذه التجربة لاحظ "آش" أن 37% من المشاركين يتماشون مع الجميع حتى و إن تيقنوا بأن آراءهم صحيحة، وأن 75% من الذين اختبروا أعطوا إجابة خطأ لسؤال واحد على الأقل وذلك للتماشي والانسجام مع المجموعة، هذه الدراسة تبين كم يتأثر الفرد بالجماعة حتى و إن كانت الجماعة على خطأ وهو على صواب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اللافــت للنظر أن تأثير الجماعة يقــل عند الفرد حينما لا يصــوت أحد منهم علانية، مثــل أن يكتب إجابته على ورقة، وذلك لعدم شــعوره بالحرج بالتصريح أمام الجميع، فالحرج أحد أســباب الرضوخ والانسجام مع المجموعة.

هذه التجارب لها دور كبير في تأســيس علم الاجتماع، فقد كشــفت كثيرًا عن انتمائنا للجماعات، وعن نشوء التعصب للجماعة والتســامح مع أفرادها، ونشوء الكراهية ضد الجماعات الأخرى، قد تعتقد أنك مختلف عما تكشفه هذه الدراســات، وأنك تعلو وتسمو فوقها، قد تقول: "أنا لست كذلك، فأنا عاقل حر" وتصر على ذلك لأنك لا تحب أن تُختزل شخصيتك في مجموعة من التجارب البسيطة، أتمنى أن تكون محقًا رغم شكي الكبير في ذلك.

ومــع ذلك، فإني أتمنى أن تكون هذه التجارب قد أنارت لك جانبًا كنت تجهله عن الطبيعة البشــرية، و إذا ما كنت مجتمعًا مع جماعتك، ورأيت أن الجميع في انســجام تمام في حبه لأفراده، وكرهه للجماعات الأخرى، عندئذ تذكر ما تعلمته الآن.

أنشطةٌ ما بعدَ النَّصّ:

حولَ النَّصّ:

1. ناقشْ معَ مجموعتِكَ إجابتَكَ عنِ الأسـئلةِ الثّلاثةِ، واستمعْ إلى إجاباتِهمْ، ثمّ شاركْ معلّمَكَ وباقيَ الصّفِّ في ذلك. الإجابةُ شفويّةٌ باللّغةِ العربيّةِ الفصيحةِ

2. في تجربةِ "كهفُ اللّصوصِ" الّتي أجراها الدكتورُ "مظفّرُ شريفٍ" لمعرفةِ أصولِ التّعصّبِ: توصّلَ إلى أنّ التّعصّبَ قد يقعُ بلا أسبابٍ منطقيّةٍ مفهومةٍ، لكنّهُ قد يحدثُ لمجردِ الإحساسِ بالانتماءِ لجماعةٍ ما. اذكرْ أمثلةً مِنَ تجربتِهِ تؤيدُ ذلكَ.

بدأوا بـ: نحن - أنتم ---- التنابز بالألقاب والأغاني التي تحط من شأن الفريق الآخر --- بعد مباراة البيسبول بدأ كل فريق يسب الفريق الآخر ---- بعد مباراة شد الحبل ازدادت الكراهية بين الفريقين --- كل فريق بدأ بغزو الفريق الآخر

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

3. يمكـنُ إذابـةُ التّعصّبِ ضدَّ الآخرِ بإحدى طريقتَين، كما اتّضحَ مِنْ تجربةِ "كهفُ اللّصوصِ". وضّحْ هاتَين الطّريقتَين. أيّهما أقوى تأثيرًا في رأيك؟ لماذا؟

طريقة الأهداف المشتركة - طريقة العدو المشترك
أعتقد طريقة (العدو المشترك) أقوى تأثيرا لأن الكل يجب أن يتحد من أجل حماية الوطن

4. "إنَّ التّصنيفَ يجعلُكَ منحازًا للصّنفِ". اشرحْ هذا القولَ مِنْ خلالِ تجاربِ الدّكتورِ (تاجفيلَ).

مثلا أبناء البلد الواحد ستجد بينهم تقارباً، وفروقات بين أبناء البلدين، لذلك لا نجد تجانسا بين الفريقين، وهذا جزء أساسي من تركيبتنا الإدراكية وهي لا تختص بطبيعة الشخص وإنما هي من طبيعة التفكير الاعتيادي، مثلا التصويت لمسابقة معينة لا يكون للأفضل وإنما للبلد الذي ينتمي إليه في الغالب

5. ما الّذي أثبتَتْهُ تجربةُ "آش"؟ هل أقنعَتْكَ التّجربةُ بوجودِ مفهومِ "التّماشي والامتثالِ معَ المجموعةِ"؟ وكيفَ ترى انعكاسَها في حياتِك وحياةِ مَنْ حولَكَ؟

الفرد يتأثر بضغط جماعته وإن كانت على خطأ، وهذا واضح في كثير من المواقف الحياتية اليومية، فالإنسان لا السباحة ضد التيار دائما لذلك يضطر إلى الخضوع لتأثير جماعته

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

6. هَـلْ نجـحَ الكاتِـبُ فـي أنْ يجعلَـكَ تعيـدُ التّفكيـرَ فـي مفهومِـكَ عَـنِ "التّأثّـرِ بالجماعـةِ"؟ كيـفَ؟

الإجابةُ شفويّةٌ، باللّغةِ العربيّةِ الفصيحةِ

البحثُ والقراءةُ:

في الجاهليّةِ قالَ الشّاعرُ (دريدُ بنُ الصِّمَّةِ) يَصِفُ وقوفَهُ معَ قبيلتِهِ رَغْمَ أنّهُ يُخالِفُهُمُ الرّأيَ:

أمرْتُهُـمُ أَمْـري بمنعـرَجِ اللِّوى ... فَلَمْ يستبينوا الرُّشدَ إلّا ضُحى الغَدِ
فَلمّا عَصَوني كنْتُ منْهمْ وقَدْ أرى ... غِوايتَهـمْ، أَوْ أنّنـي غيـرُ مهتدِ
وما أنـا إلّا مِنْ غَزيّـةَ، إنْ غَوَتْ ... غَويْتُ، وإنْ ترشُـدْ غَزيّةُ أرشُدِ

ابحثْ عنِ القصيدةِ، والحكايةِ الّتي وراءَها، وناقِشْ زملاءَكَ في مضمونِها، موضّحًا موقفَكَ منها.

مهمّةٌ بحثيّةٌ:

يقولُ عالمُ الاجتماعِ العربيِّ (ابنُ خلدونَ): "الإنسانُ كائنٌ اجتماعيٌّ بطبعِهِ".

ابحثْ في المصادرِ المختلفةِ عَنْ آراءِ عُلماءَ الاجتماعِ حولَ "حاجةِ الإنسـانِ إلـى الجماعةِ"، مُتّبِعًا المنهجيّةَ العلميّةَ في البحثِ وجمعِ المعلوماتِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة